القصص

تحت عنوان فرجيل ولغة عنوان بوريبيدز

٢٢ - حُروب طَرْوَادَة

١ — الحصان الخشبي
٢ — سينون
٣ — مصير لاوكون
٤ — رؤيا إيناس
٥ — نهاية بريام
٦ — أخميز
٧ — العاصفة

سقوط إليوم (١)

للأستاذ دريني خشبه

لم يبرح فيلوكتيتس يرسل سهامه على الطرواديين ، ولم تبرح

(١) اعتمدنا فى تلخيص هذا الفصل على ملحمة ڤرجيل الخالد ترجمة The Aeneid نيرفاكس تايلر (طبعة دات) — ورجعنا كذلك إلى درامة يوريبيدز الملحمة (The Trojan Women) ترجمة جلبرت موري النثرية وترجمة ر — پوتر الشعرية مع ما بين الملحمة والدرامة من فروق تحتفظ بروح الأسطورة

كن واحداً يا شباب مصرا ... وادع إلى وحدة اللواء
ولا تكن للذئاب سخراً ... ولا تكن سلماً لشاء
يا جند فى مصر : لن تقرّا ... حتى يقروك فى السماء
دعنا نحييكَ يا شباب
فى صرخة الدهش والسكون ... أوْ لا ! فمن ذا إذن نكون

يا باذلَ المهجةِ احتساباً ... والرأسَ . والعينَ . والشبابا
وحامياً ذلك الجنابا
وفاعلا ههنا العجابا
دعنا نحييك يا شباب

ابراهيم ابراهيم على
المحامى

المنايا تتخطفهم ... ولكن المدينة ذات الكبرياء ما برحت أمنع من عقاب الجو على الغزاة الجبارين ...

وذهب كالخاس عراف الحملة ، إلى آلهته يستوحيها ، ثم هرع إلى سادته قادة الجيش فذكر لهم أنه مادام تمثال ميزڤا المقدس — البالاديوم المشهور — فى طروادة فلن يفتحها على أهلها فاتح ، ولو عاونته الأرباب جميعاً !

وانطلق أوليسيز ، وانطلق معه ديوميدز ، فتنكرا واحتالا على حارس البوابة الاسكائية الكبرى ففتحها لهما ، وذهبا قدما إلى هيكل ميزڤا ، وسرقا البالاديوم المقدس ، وعادا به ، وكل همهما أن تبطل نبوءات العم كالخاس التى أخذت تترى ، ويأخذ بعضها برقاب بعض .... وكرت الأيام .... ومع ذاك لم تفتح طروادة ! ؟

ثم بدا لأوليسيز أن يصطنع الحيلة ...

فعرض على زعماء الحملة أن يُدعى مهرة النجارين والبنائين فيصنعوا حصاناً هُولةً كبير الحجم ... خاوى الجسم ، فيكون بداخله جمهرة من أقوى شجعان الهيلانيين وأبطالهم ، ثم يوهم الأسطول أنه أبحر بجنود الحملة ، فاذا مضى شطر من الليل ، وأقبل الطرواديون على الحصان فأدخلوه مدينتهم تذكارا لهذه الحرب الضروس التى أكلت أخضرهم ، وأحرقت يابسهم ، وذهبت بالزهرة اليانعة من شبابهم ... ثم إذا كان الهزيع الأخير من الليل ... خرج الأبطال المختبئون ففتحوا أبواب إليوم ، وينقض الجيش المرابط ، فيحتل المدينة الماتية التى رغمت تحت أسوارها أنوف ، وذلت جباه ، وذابت أنفس ، وذهبت أرواح ، دون أن ينال منها أحد ....

وطرب القادة لهذه الحيلة التى يدهمهم بها أوليسيز ..... وانصرفوا عن القتال وهم له كارهون ... وانصرف الطرواديون فاعتصموا بأسوارهم ، ورابطوا داخل صياصيهم ، ومهرة النجارين

كبار المثالين دائبون على حصانهم الهولة حتى فرغوا منه ..
وأقلع الأسطول ...

وانكشفت الساحة من هذا الجراد المنتشر الذى لبث بنوء وقها عشر سنين ...

واختبأ أوليسيز داخل الحصان ومعه نخبة من شياطين ليرميدون ، وعلى رأسهم بيروس النجيب ، ابن أخيل الخالد ، وعصبة قوية من فرسان الأغريق البواسل ...

ودق الطرواديون البشائر ...

وجاءوا يُهرعون إلى الساحة ، ويتكبكبون حول الحصان الهولة ، ويكلمون سينون الذى تركه الهيلانيون عند الحصان ليخدع الطرواديين ولينصح لهم بنقله إلى المدينة ليكون آخر الدهر تذكارا لهذه الحرب التى شنها قومه على طروادة ظلماً ، فباءوا منها بالبوار ...

« ... ... هؤلاء الهيلانيون اللؤماء ، الذين انصبت عليهم أحقاد الآلهة ، وثار بهم كبير الأولمب وسيده الأعظم ، وسلطت عليهم الزوابع والأنواء حتى كادت تفنيهم ، لولا أن أمروا بتضحية قربان بشرى ينجيهم من غضب السماء ... ولكن ؟ ... من منهم أصاخ إلى الأمر المقدس ؟ ومن منهم سمع إلى هتاف الأولمب ؟ لقد جبنوا جميعاً ! ولم يشأ واحد منهم أن يضحى بنفسه لينقذ الجميع ، حتى أوليسيز ! أوليسيز نفسه ؟ هذا الداهية المفضل ! لقد جبن هو أيضاً ! وفى الوقت نفسه حاول أن يرغمنى أنا ! أنا سينون المسكين ، على أن أقبل التضحية ، وأن أهب دمى للآلهة انهداً ثورتها ...

ولكنى رفضت فى شمم ، وامتنعت فى إباء ... لا خوفاً من الذبح ؛ ولكن ضناً بدمى النقى الطاهر عن أن يهرق فى سبيل هؤلاء الجبناء ... الذين تكأكأوا وفزعت نفوسهم من صيحة السماء ... !

وهربت يا مولاى ! يا مولاى بريام العظيم ... ولذت بظلال طروادة الخالدة ، طروادة المنيفة القوية ، وجعلت أصلى لأربابى حتى استجابت لى ، وأرسلت اليهم من أنذرهم بسوء المنقلب إذا هم لم يقتلوا هذا المساء ... ! ! فقاتلهم الله السند ! وقاتلهم الآلهة جميعاً ! ! ...

والآن ! ... ها هم أولاء قد تركوا هذا التمثال الرائع الذى أعدوه ليوم نصرهم ، فجعلته الآلهة آية فشلهم ! ... انقلوه يا مولاى إلى المدينة ، واجعلوه تذكار هذه النوبة الجنونية التى شنوها عليكم ، فحاق بهم سوء ما كانوا يمكرون ... ألا فليكن قربة لميرفا ... !

ولقد سمعت هاتفاً فى صلاتى يقول : « ... الويل لمن يصيب هذا التمثال بشر ! تنقض عليه رجوم السماء ، وتنخسف من تحته الأرض ، وتميد من فوقه الجبال ! ... وطوبى لمن احتفظ إلى الأبد به ! . . . إذن يحميه شر حدثان الزمان وعوادى الأيام ... »

وكان سينون يمزج كلماته بدموع الصلاح والورع ، ويشمل فيها جمرات الاخلاص والصدق ... وكان يرسل آهاته من الأعماق ... ! حتى استطاع أن ينفذ إلى سويداء الملك ، ويستولى على مشاعر الطرواديين ؛ وحتى ثار الطرواديون أنفسهم على قديسهم الوقور لاوكون ، راهب نبتيون الأكبر حين نصح ألا تجوز عليهم هذه الكلمات المسمولة ، والنفثات السحرية التى يتلجلج بها لسان سينون ، وأن يدعوا الحصان مكانه « فانه إن دخل طروادة جلب عليها الشر وكان فأل السوء للضحايا والشهداء ... ولا تصدقوا أن الهيلانيين قد تركوا هذا الحصان تكرمةً لنبتيون كما يدعى هذا الأفاق المأفون ، بل هم قد صنعوه حيلة منهم لغرض سيء ... وها هى ذى ابنتك أيها الملك ... كاسندرا العزيزة فاسألها ... فان لديها سر السماء ... »

وسأل الملك كاسندرا فأفتت بما أفتى به لاوكون ...

ولكن ... من يصدق كاسندرا وما تزال نقمة أبوللو تنصب فوق رأسها ... وقد جعلها آلهه الشمس عرضة لكل مستهزئ وضحكة كل ساخر لئام !

وزاد الناس استهزاء بالقديس لاوكون ، حين رأوا اليه تفترسه حيتان عظيمتان على سيف الهلسپنت إذ هو يقدم قربانه لربه نبتيون فتقتلانه وولديه ، عقب تحذيره الطرواديين ألا يقربوا الحصان المشؤوم وألا يدخلوه مدينتهم ! !

وتعاون الطرواديون جميعاً فجروا الحصان الهولة ، وهدموا بأيديهم جزءاً كبيراً من سور إليوم المنيع لتتسع البوابة للتمثال الهائل فكانوا كالتى نقضت غزلها أنكاثا ! ! ...

* * *

وكان الأسطول قد اختبأ فى ظلال الأيك النامى فوق جزيرة تندوس ، فلما كان النصف الثانى من تلك الليلة الخرافية الحالكة ، وكانت طروادة كلها قد استسلمت للنوم العميق الذى يسبق القضاء الصارم عادة فى مثل هذه الأحوال ، هب سينون الخبيث ففتح الباب السرى الذى لايعرف إلا هو مكانه من الحصان ، وخرج الأبطال فقتلوا الحراس النائمين لدى الأبواب ، وأشعلوا النيران فرآها الجنود الذين عاد بهم الأسطول فى دجى الليل ، فانطلقوا سراعا إلى إليوم الخالدة . . . المستسلمة ... فدخلوها ... وأعملوا السيف ، وشرعوا الرماح ، واستباحوا المدينة ، وهتكوا الأعراض النقية ، وأحلوا حرمة الهياكل ، وأضرموا النيران فى القصور ، وأتلفوا الحدائق الفينانة ، وهشموا تماثيل الآلهة فى الميادين العامة ، وقتلوا الصبية والأطفال ، وجعلوا المدينة أطلالاً فى أطلال ! !

وهكذا !! وفى سكرة الليل ، وهدأة الظلام ، تم للهيلانيين الاستيلاء على تلك المدينة العتيدة وهبت من تحت الثرى عشرة أعوام طوال مضرجة بالدم ، ملطخة بالاثم ، حافلة بالذكريات ، غارقة فى الدموع ... تشهد إلى الفتح المجرم ، وترى إلى المأساة الظالمة فى آخر فصولها !!

وكان إيناس اليافع بن ڤينوس الهلوك من أنخيسيز ، فتى طروادة وأميرها الجميل ذا القسمات ، يغط فى نومه العميق ، ملء سريره الذهبى الوثير ... مطمئنا آمنا ... لا يدور بخلده أن تحل تلك الكارثة بأليوم فى هذه الغفوة من الفجر ..

وكان إيناس محببا إلى الآلهة ... ولم يكن قد جاء أجله بعد ... فسخرت اليه ربات الأقدار طيف هكتور يزوره فى نومه ، ويريه حلماً مفزعا ... وينذره ... « أن هب إيناس فقد سقطت طروادة ، وانج بنفسك وبأهلك فالأسطول ينتظرك ، واستنقذ التحف المقدسة والآثار العلوية ... فقد دنسها الفاتحون !! »

وذعر إيناس ، وهب من نومه لهفان صعقا ... ونزع إلى سلاحه ثم أشرف على المدينة المروعة فشهد المأساة تحل بها ...

وهاله أن يرى الوحوش الضوارى من بغاة اليرميدون ، وغزاة الهيلانيين ، يسوقون أتراب طروادة وبيض خدورها المكنون ... عاريات أو نصف عاريات ... إلى الأسطول ... ليكن إماء فى بيوت هيلاس ... ورقيقاً فى أسواقها ! ؟

وكاسندرا ؟ ! كاسندرا نفسها !! ابنة پريام الملك ... حبيبة السماء وصفية الآلهة !! التى حذرت أباها يوماً من قبول باريس أن يحل البلاء بالمملكة وينزل الشؤم بالناس !! ها هى ذى مسوقة فى قبضة أجا ممنون نفسه ... أجا ممنون سيد القوم وقائدهم العام إلى ... سفينته ! !

وفكر إيناس ، فلم يجد لانقاذ المدينة وأهلها من سبيل فأشار إلى بعض رجال قصره فقتلوا نفرا من جند الاغريق المتخلفين عن الجيش الغازى ، كانوا مشغولين بالسلب والنهب فى متجر قريب ، ثم نزعوا عنهم ثيابهم فلبسها إيناس وصحبه ليستخفوا بها عن أعين المغيرين ؛ وانطلقوا إلى القصر الملكى وبودهم لو استطاعوا أن يحموا الملك فى هذا الروع الأكبر . ولكن وا أسفاه !! لقد كان پيروس بن أخيل قد سبقهم إلى عسكر نجر من أبالسة اليرميدون ؛ وكان پوليتيس بن پريام وآخر فرع من دوحته الباسقة آيقاً أمامه ، مكروباً مفزعا فاراً إلى ذراعى أبيه الضعيف الشيخ ، يلتمس الحماية فى أوم حمى ... فلم يزل پيروس ينهب الأرض فى إثره ... حتى قتله بين يدى أبيه ، وانقض على الملك التاعس فوضع حدا لهذه الحياة الطويلة المملولة الشقية التى لطخها الدم البرئ وصهرتها جحيم الشدة ... ولم يغن عن پريام المسكين توسلات هذه الزوجة المذبة التى وقفت بينه وبين پيروس ... هكيبـــوبا !! الملكة المرزأة ! التى بقيت وحدها لتجرع الثكالة الباقية فى كأس الحياة .. مرا وعلقما ...

وهكذا صعدت روح الملك إلى سماء طروادة تتلفت حولها ! ترى إلى المدينة الخالدة تضطرم النيران فى جنباتها ... وتندك صروحها العزيزة فى الرغام ... وتهـــاوى أبراجها المنيفة التى كانت تسجد تحتها آسيا الجبارة ... والآن ! ها هو ذا على ثرى إليوم لقىّ لا نفس فيه ! وجثة هامدة لا تحمل اسمها بعد ... ورأساً معفراً ... ... من غير جســـد !! (١)

(١) من ڤرجيل

وزاغ بصر إيناس حين شهد هـذا المنظر الرهيب ، ووقر فى نفسه أن مثل هـذه النهاية المحزنة قد تحل بأبيه الشـيخ ، أنخيسيز ؛ وبزوجته الهيفاء كروزا ، وبطفله المعبود إيولوس ... فلم يبال أن يقتحم صفوف الأعداء إلى قصره الذى خلا غابه اليوم من أسـده ، ويُدَلّ الشوك من ورده ، وعاث فيه جنود الهيلانيين فأصبح قاعا صفصفاً ... كأن لم يَشْدُ فى دوحه بلبل ... ولم يحن فيه فؤاد إلى فؤاد !

وهناك ... فى إحدى الردهات المنعزلة ... وجد هيلين ! ! نعم ، هيلين ! سبب هذه الكوارث المتلاحقة التى حلت بطروادة والطرواديين ... هيلين التى لم تبال أن تتزوج ديفبوس — أخا باريس — عقب مقتل حبيبها بأيام معدودة ! !

وجدها هنالك ... تنقـدح المصائب شرراً من عينيها ، وتتدجى غواشى الكروب فوق هامتها ، وتنعقـد ظلمات الكوارث على جبينها المفضن الكريه ... ... الجميل ! !

وهم إيناس أن يفتك بها ، لما ذكر من الأرزاء التى حاقت بطروادة من جرائها ... لولا أن بدت له أمه ... ڤينوس ! ... فأنذرته ألا يفعل ... ثم كشفت له حجاب الغيب المحرم على أعين البشر ، فرأى إلى الآلهة أنفسهم يعملون بأيديهم فى تخريب طروادة ، وتدمير الطرواديين ، وعلى رأسهم شـيخ الأولمب وسيده ... زيوس ... كبير الأرباب ! !

« ... فانج بنفسك يا بنى ... والذ بالبحر ... ولتبرح عن هذه الديار ... »

وانطلق إلى أبيه فنصح له أن يهرب معه ... ولـكن أباه استـكبر وأبى ... بحجة أنه ينتظر نبوءة من السماء توحى اليه بما توحى ... فغيظ إيناس وأغلظ لوالده القول ؛ ثم أمره أن يقبض بيديه اللاريتس والپينيتس [1] ، وأن يركب كاهلى ابنه وإلا قتلوا فى الحال !

فلم يسع أنخيسيز إلا أن يطيع ... فسار ابنه يحمله ، وسار ولده الصغير أيولوس بجانبه ، وتبعتهم زوجه الجميلة كروزا ...

وكان قد اتفق مع أتباعه ، قبل أن يقصد إلى قصر الملك ، أن ينتظروه فى هيكل خرب قريب من مياه الهلسبنت ... فلما أقبل نحوهم يحمل أباه اتفقوا على أن يبحروا فى الحال ... ولـكنه ... وا أسفاه ! افتقد زوجه فلم يجدها ... زوجه كروزا التى كانت الساعة فقط تتبعه ! ! لقـد قتلها كلب من شياطين الميرميدون ... ! ولما رجع إيناس ليبحث عنها لفيه طيفها الجميل .. عند تمثال ميزرڤا ... تخاطبه قائلا ... « هلم يا إيناس ! غادر هذه الديار فى الحال ... واذهب إلى شطئان التيبر ، فان الآلهة قضت أن تبنى بيديك ... رومة أم القرى ! ! » وأبحر إيناس ... وأبحرت فلول الطرواديين معه

وفى غبشة الصبح المضطرب ، كان صوت الطبل الكبير يقصف كالرعد فى خرائب طراودة . وكانت الجموع الحاشدة تهرول نحو الأسطول ، وكان السبى الكثير عذارى من طراودة وسائر نسائها يهرولن هن الأخريات نحو البحر ... فكنت ترى هكيوبا الملكة .. واندروماك الحزينة التى اغتصبها پيروس لنفسه ... وكاسندرا ... تلك النبية التى أحبتها السماء ... فأصبحت فى جملة السبى من سريات أجا ممنون وغانياته ... وكنت ترى غيرهن يهرولن فى الصباح الباكى إلى شاطىء الهلسبنت ، ليركبن البحر فيغبن عن أرض الوطن إلى الأبد ...

وكانت كاسندرا تنظر إلى الأساة وتبتسم ...

وكانت أمها ترمقها بعينين دامعتين ... وتسألها عن سبب ابتساماتها ... فتفتر كاسندرا وتقول ... « أماه ليس حظ هؤلاء الفزاة المنتصرين بخير من حظ أبطالنا ... هأنذى أقرأ ألواح القضاء ... أنظرى ... ها هو ذا مصرع أجا ممنون بيد زوجته كليتمنسترا العاشقة ... إنها تفضل اليوم حضن عاشقها الآثم على جنة يكون فيها زوجها ... إنها ستقتله ، ستذبحه بيديها ... حينما تطأ قدماه أرض الوطن ... !

وانظرى يا أماه ... ها هو ذا أوليسيز تعصف به الريح ... ويلعب به الموج ... ويؤرجحه البحر اللجى ... عشر سنين يا أماه يقضيها ملك إيثاكا فى تيه هذا الماء ... والعشاق يتقاتلون من حول زوجه ... وتليماك المسكين يضطرم غيرة ولا يستطيع أن يفعل شيئاً ...

وانظرى يا أماه ... ها هو ذا منالايوس ... بائس ... كم أنت بائس يا منالايوس ... لقد ظن المسكين أن هيلين نقية كما

(١) Lares & Penates تماثيل صغيرة للآلهة تحفظ فى المنزل لعبادتها (وهى من طقوس الرومان فقط)

هى ! ... لقد نسى التاعس أنها تقلبت فى أحضان أزواج غيره !... أنظرى إليه يقذفه البحر إلى شطئان مصر ... وانظرى إليه ذليلا بين يدى هيابن يتوسل إليها وكان أحرى لو أنه قتلها ... ...

* * *

ونسى الهيلانيون فى نشوة النصر أن يقربوا القرابين للآلهة التى نصرتهم وأيدتهم وأظفرتهم بأعدائهم ؛ قبل أن يبحروا ... فأثاروا غضب الأولمب ... واستنزلوا لعنة السماء واستحقوا حنق حيرا ونبتيون وميزرفا ... ونقمة زيوس ! !

لقد ثارت ثائرة ميزرفا ... فانطلقت إلى أبيها وشكت إليه ما فرط هؤلاء الجاحدون فى جنبها وجنب الآلهة ... واتفق الجميع على أن يسخر نبتيون الجبار ... إلهه البحر ... أرياحه العاتية على أساطيلهم فتمزقها ... وتضلها تضليلا ...

فما كادت الأساطيل تمخر عباب الماء . . وما كادت تبتعد عن شواطئ إليوم .. حتى بدأت العاصفة تدوم . . وحتى أخذت الأمواج ترسل أعرافها حول السفائن ، وحتى نثر الثبج حبابه فوقها ... وحتى ارتعدت فرائص القوم ... ونظر بعضهم إلى بعض ... كأنهم فى يوم حشر ... ولا يتساءلون

ولقد صدقت كاسندرا !

فها هى ذى الأساطيل الكثيفة تتمزق فوق سطح البحر ... وها هى ذى جوارى منالايوس المنشئات تدفعها العاصفة فى طريقها إلى . . . مصر . . . وها هى ذى مراكب أجاممنون تتكسر على الصخور الناتئة فى عرض اليم ... وما يكاد يصل هو إلى مملكته أرجوس حتى تقتله زوجه العاشقة . . . مؤثرة عليه أحضان عاشقها الأثيم إيجستوس ... وها هى ذى سفين أوليسيز تضل فى البحر الشاسع ، وتتكسر بما عليها من سلب ، . . ويظل البطل المغوار فى نقلة وترحل . . . عشر سنوات . . . وتظل زوجه بينلوب تنتظره . . . وعشاقها يقتتلون حول قصرها . . . وتليماك البائس ابنها ينتظر أوبة أبيه . . . حتى يعود بعد شدة وبعد لأى فيدمر العشاق الآثمين . . .

وهاك بيروس بن أخيل يعود ومعه أندروماك التى تظهر له الحب ، عاملة بنصيحة هكيوبا لها ... حتى تنشىء ابنها .. وكانت تعتزم مضايقة بيروس ومناوأته ليقتلها .... ولتستريح بالا من عذاب العيش بعد هكتور .... (١)

ودينى هنيبة

(١) يعتبر هذا الفصل الأخير من حروب طروادة النبع العذب الذى استمد منه اسخيلوس وسوفوكليس ويوريبيدز أكثر دراماتهم الخالدة التى أربت على المائتين ، والتى لم يبق منها إلى اليوم أكثر من ستة وعشرين . سبع لكل من اسخيلوس وسوفوكليس والباقى ليوريبيدز ، وسنحاول أن نعطى للقارئ صوراً منها على صفحات الرسالة ، ثم نتبعها بملاحى أرستوفان التى يعتبر أكثرها نقدا ليوريبيدز

القهوة الجيدة

ليس البن مادة من مواد الترف ، ولا صنفا من الأصناف الكمالية الزائدة على الحاجة ، وإنما هو شىء من الأشياء الضرورية التى لا يجد الانسان عنها محيصا ، واذا كان الافراط فى تعاطى القهوة يؤثر تأثيرا سيئا على ذوى البنية الضعيفة ، فان الاعتدال فيها هو على عكس ذلك لازم لسلامة المزاج وصحة الجسم

إنك حين تتعاطى فنجالا من القهوة تحس كأنك ولدت من جديد ، تشعر أن طاقتك التى زادت أضعافاً مضاعفة تستطيع أن تتغلب على كل متاعبك ، وأن تذهب عنك الضجر فلا تفكر إلا فى مسرات الحياة وملذات العيش

إن فنجالا ساخناً من هذا الشراب المفيد إذا أعد اعدادا متقنا يريح البصر ويقوى الشهية ويبعث فى الجسم شعورا بالغبطة يقدره الغنى كما يقدره الفقير . ولكن القهوة لا تقدم اليك هذه المنافع إلا إذا كانت من بن جيد النوع غير مخلوط بالحمص المقلى والقش المحمص ، وأشهر أنواع البن فى العالم من غير نزاع هو بن البرازيل ، لأنه مزروع على القواعد العلمية ، وتحميصه وطحنه فى القاهرة يجرى على أحدث الطرق الفنية فى مخازن البن البرازيلى فى شارع فؤاد الأول ، ففى هذه المخازن الوحيدة تجد فى كل وقت البن البرازيلى الحقيقى محمصا ومطحونا من أجود نوع وبأسعار معقولة جدا